الشهداء إلى المتحف والنازحون إلى الموت

فاروق يوسف
كاتب عراقي

قراران اتخذهما رئيس الوزراء العراقي مصطفى الكاظمي في يوم واحد يثيران علامات الدهشة والاستفهام والحيرة.

تحويل بناية ما يُسمى بالمطعم التركي التي تقع وسط العاصمة العراقية بغداد إلى متحف يؤرخ لانتفاضة تشرين 2019 الشبابية هو القرار الأول أما القرار الثاني فهو إغلاق مخيمات اللجوء التي تؤوي نازحي الموصل.

قراران هما على درجة عالية من السطحية وعدم تقدير النتائج.

فتحويل بناية المطعم التركي إلى متحف هو قرار ينطوي على قدر عال من السخرية من الانتفاضة والضحك على المحتجين الشباب أما طرد اللاجئين من خيامهم فإنه يعد بمثابة قرار إعدام بحق أكثر من مئة ألف إنسان.

السخرية مقابل المأساة في نهار واحد.

يكشف رئيس الوزراء العراقي من خلال كذبة المطعم التركي عن استخفافه بالمحتجين الذين خرجوا من أجل التغيير من خلال إسقاط النظام السياسي القائم على مبدأ المحاصصة ومن أجل إرضائهم تمت ترقية الكاظمي من منصب رئيس المخابرات إلى منصب رئيس الوزراء لا لشيء إلا لكونه لا ينتمي إلى الأحزاب المشاركة في العملية السياسية الفاشلة.

كان المحتجون يأملون في أن يقف الكاظمي إلى جانبهم لا أن يصنع منهم موضوعا للفرجة. ما الذي سيفعله الشهداء في ذلك المبنى المهجور الذي سبق لخطواتهم أن قامت بقياس مساحته مرات عديدة؟ يومها كانت النوافذ مفتوحة غير أن متحف الكاظمي سيكون بأبواب تغلق في أوقات محددة ويكون على الحراس مراقبة الزوار.

المحتجون كانوا يأملون في أن يقف الكاظمي إلى جانبهم لا أن يصنع منهم موضوعا للفرجة، فما الذي سيفعله الشهداء في مبنى مهجور سبق لخطواتهم أن قامت بقياس مساحته مرات عديدة؟

سيضحك الشهداء لأن الكاظمي لن يقبض إلا على صورهم.

أما المنتفضون فبعد أن نقل إليهم الكاظمي تهديدات الميليشيات واستجابوا لوعوده الهوائية وغادروا ساحة التحرير ومن ضمنها مبنى المطعم التركي فاجأهم بفكرته التي يمكن أن تضعه بين بناة عصر النهضة الأوروبي. سيقيم متحفا لما هو زائل. تلك هي الحقيقة. فليست الانتفاضة هي الأصل. الأصل هو التغيير. فأين هو التغيير؟

لنترك التغيير فالرجل أظهر عجزه أمام الأحزاب والميليشيات بعد أن صار قريبا من لحظة إفلاس الدولة. أين هم ناشطو الاحتجاجات الأساسيون؟

كان الكاظمي كما أتوقع وسيطا بين الميليشيات والمحتجين حين خيرهم بين أن يعلنوا عن هزيمتهم بصمت أو القتل العلني الصاخب. وكان الرجل صريحا، كونه ناقل رسالة وهذا ما فهمه المحتجون بعد أن عجزت الحكومة عن إطلاق المختطفين من شباب الانتفاضة بالرغم من أنها تعرف الجهة التي اختطفتهم.

حين عاد المحتجون إلى بيوتهم فهم الكاظمي اللعبة وقرر أن يمعن فيها ويقيم متحفا. هي فكرة ليس إلا. قالها ومضى. لن ينفذها أحد غير أنها تعبر عن طريقة الرجل في التفكير التي نتج عنها قراره المأساوي بتهجير النازحين.

إلى أين تذهب هذه الألوف من العوائل، أطفالا ونساء ومسنين الذين صار المخيم وطنهم. إن عادوا إلى الموصل لن يجدوا بيوتهم فقد هدمت بل محيت. ولكن الأخطر من ذلك ما يمكن أن يوجهه لهم الحشد الشعبي من تهمة الانتماء إلى داعش. بمعنى أن الكاظمي وقع قرار إعدامهم. لقد رأيت امرأة في إحدى القنوات الفضائية وهي تقول "المخيم هو وطننا فلماذا تصرون على أن ننزح مرة ثانية؟" شيء مؤلم أن يكون المخيم وطنا داخل الوطن.

لا يكفي أن يكونوا عراقيين لكي يكونوا أبرياء.

لم يفكر رئيس الوزراء بما يمكن أن ينتج عن قراره من مآس. فالميليشيات تنتظر خروج النازحين من المخيم لتبيدهم. هل يملك الكاظمي القدرة على أن يمنع قيام المجزرة؟

ثم حتى في أحسن الأحوال فإن أولئك النازحين لن يجدوا في الموصل بيوتا تؤويهم بعد أن يكونوا قد فقدوا خيامهم. سيكون التشرد مصيرهم. مئة ألف متشرد جديد في العراق يضافون إلى متشرديه.

ولكن لمَ لم يفكر الكاظمي في تحويل المخيم هو الآخر إلى متحف؟

هناك أفكار أخرى لمتاحف كثيرة على الجهة التي اختطفتهم غير أنها تعجز عن إطلاق سراحهم. كما أن هناك فكرة لمتحف شمعي شبيه بمتحف رجال الدين في النجف يحتوي على تماثيل لزعماء الأحزاب والميليشيات والوزراء الذين استطاعوا أن يحولوا بلدا ثريا مثل العراق إلى دولة تتسول رواتب موظفيها.

العراق كله متحف للفساد. وما دام الكاظمي قد فشل في مكافحة الفساد على الأرض فليدفع به إلى الخلود ويكون خالدا من خلاله.

مستقبل غير مشرق للإعلام الإخواني

محمد خلفان الصوافي
كاتب إماراتي

من واقع مشاركتي في ندوة "الإخوان المسلمون والإعلام: بين الأيديولوجيا والسياسة" التي عقدها مركز تريندز للبحوث والاستشارات، الذي يتخذ من العاصمة الإماراتية أبوظبي مقرا له، توصلت إلى قناعة أن الجهود التي تبذلها الدول العربية الأربع من أجل مكافحة التطرف والإرهاب وهي، دولة الإمارات العربية المتحدة، والمملكة العربية السعودية، وجمهورية مصر ومملكة البحرين، بدأت تؤتي ثمارها وتنجح في إقناع الرأي العام الغربي عموما، والأوروبي بشكل خاص حول الخطر الذي تمثله تيارات الإسلام السياسي وخاصة تنظيم "الإخوان المسلمون" الإرهابي على استقرار المجتمعات التي توفر لهم بيئة حاضنة لأفكارهم وتمويلاتهم مستغلين في ذلك عدم إدراك الإنسان الغربي لحقيقة أجنداتهم التخريبية في مقابل استخدام سلاح "المظلومية" للحصول على تعاطف الرأي العام فيها.

تكررت مفردات معبرة عن مستقبل غير واعد لإعلام "الإخوان" بصيغ مختلفة، فمرة هو مستقبل مشوّش ومرتبك ومرة أخرى غير واضح المعالم. وتكاد تتكرر تلك التقييمات في كل مداخلات ضيوف الندوة (الثمانية) التي حملت عنوان "مستقبل إعلام تنظيم الإخوان المسلمين"، وربما الشيء الجيد في هذا التقييم أنه رغم اختلاف مجتمعاتهم إلا أن التقييم إن يكن واحدا فهو لا يبتعد أن يصب في نفس التيار وهو إعلام غير مبشّر، ولن يطول الزمن لأن يعلن عن حالة "وفاته"، فهو الآن يحتضر تدريجيا، مرجعين ذلك إلى أسباب مختلفة.

عمليا لو تتبعنا نشاطهم الإعلامي حاليا سنجد أنهم "متقوقعون" في كل من قطر وتركيا بشكل أساسي، لكنهم في دولهم الأصلية وخاصة مصر (التي تعتبر الترمومتر الحقيقي لأيّ تجربة إخوانية)، لم يعد لهم وجود لأنهم يواجهون ضغوطا من المواطنين والمجتمع، وليس من الحكومة التي استطاعت أن تنقذ الوطن قبل أن يتحول إلى "جماعة" عن طريق استخدام منهج "أخونة الدولة"، أي تمكين كوادر إخوانية في كل المؤسسات الحكومية والمجتمع بما فيها الإعلام.

الرائع في هذا التراجع الإخواني من المشهد الإعلامي والمجتمعي العربي أننا بدأنا نراه في عدد من الدول الغربية وإن كان أحد المحاضرين، وهو من إحدى الدول الأوروبية التي شهدت عمليات إرهابية مؤخرا، ذكر أن حكومة بلاده تمنعه من انتقاد الإخوان، ولكن في فرنسا خلال هذه اللحظات يبدو الأمر مختلفا وكذلك النمسا ويبشر كذلك بالخير في معقلهم التاريخي في بريطانيا، حيث بدأوا يواجهون ضغوطا على ممارسة أنشطتهم التي ليست بريئة في كل الأوقات.

كل الدلائل تشير إلى أن هناك انكسارا وهزيمة كبيرة لتنظيم الإخوان المسلمين الإرهابي، حتى مع عودة الديمقراطيين إلى السلطة في الولايات المتحدة، المتمثلة في انتخاب جو بايدن رئيسا، حيث أن هناك من مازال يعتقد أن بايدن سيعمل على دعمهم مرة أخرى، في إحياء الفوضى غير الخلاقة في المجتمعات العربية، وكأن بايدن أو الديمقراطيين لا تحكمهم مصالح بلدانهم الاستراتيجية، ونستطيع أن نرصد بعض أبرز المؤشرات لحالة التراجع الإخواني وإعلامهم أيضا من خلال الآتي:

فمن حيث الأدوات أو الوسائل الإعلامية، لم يتبق للإخوان سوى وسيلتين إعلاميتين حاليا يمكن أن يشار إليهما والحديث عنهما نسبيا بأنهما الأكثر تأثيرا، أما ما عدا ذلك فلا توجد وسائل ذات تأثير مجتمعي، بما فيها الإعلام الإلكتروني، الذي يعتبر هو الفاعل الحقيقي حاليا على الشريحة الشبابية.

ولو انتقلنا إلى المحتوى الذي يعتبر الأخطر مقارنة بالوسيلة، خاصة مع تنظيم صفته الأساسية قائمة على "السرية" أو ما يعرف بثقافة "التقية"، فكل ما يطرحه إعلامهم حاليا لا يخرج عن التشكيك والتخوين والمظلومية، وكلها توجهات مستفزة ومقززة للرأي العام العربي، لسبب بسيط أن الإنسان العربي عرفهم على حقيقتهم بعدما فضحهم الإعلام عندما ظهروا إلى الناس، ويمكن إضافة مسألة التمويل حيث الأزمات المالية تجتاح دول العالم بما فيها قطر وتركيا المأزومة اقتصاديا.

بالمجمل نستطيع القول إنه بدلا من أن يكسب هذا الإعلام المزيد من شعبية الناس والجمهور، فإن أسلوبه المفضوح يزيد في خسارته، أما عن المتفاعلين معه فهم لن يخرجوا عن أن يكونوا من ضمن كوادره، أو من الموالين والمتعاطفين معه.

ونستطيع القول أيضا إن ما حملته الندوة من إشارات موضوعية وفي مختلف مناطق من العالم، إنما تنقل لنا عن مستقبل التواجد الإخواني في الإعلام وبالتالي في المشهد السياسي العالمي.

ماذا نخشى في أميركا الجديدة؟

بهاء العوام
صحافي سوري

بين الفوز الذي أعلنته وسائل الإعلام المحلية الكبرى، والتنصيب الرسمي أو التقليدي للرئيس الأميركي، هناك متسع من الوقت لا أحد يعرف متى ينتهي. لم تعد تهم النتيجة بقدر ما يثير الفضول ذلك الانقسام الحاد بين الحزبين الرئيسيين في الولايات المتحدة، الجمهوري والديمقراطي. وهو بالمناسبة، يعكس واقع الحال في الشارع، وقد لا يكون مجرد أداة حرب بين الحزبين تزول مع إعلان الرئيس الفائز رسميا.

ربما يحسم أمر الفائز غدا، أو يستمر حتى منتصف شهر يناير المقبل وفق القوانين المتبعة، ولكن أيا كان ساكن البيت الأبيض للسنوات الأربع المقبلة، لا يجدر بالدول العربية وغيرها حول العالم أن تخشاه لسياساته، وإنما لما يدور اليوم في الولايات المتحدة من تجاذبات حادة بين معسكري الحزبين الرئيسيين. فهذه التجاذبات هي التي ستؤثر لاحقا على السياسة الخارجية الأميركية إزاء المنطقة.

الصورة اليوم واضحة إلى حد بعيد، فالرئيس الحالي دونالد ترامب بات الجميع يعرف سياساته، والمنتخب جو بايدن لا يريد أن يتبنى سياسة محددة تجاه أي شيء، ليبقي الباب مفتوحا على المساومات وفق ما تقتضيه المصلحة. وإن انتهت أزمة الانتخابات الحالية بسلام، فقد لا تشتعل التجاذبات بين الديمقراطيين والجمهوريين إلى حدود تؤدي حتما إلى تغير جوهري في القواعد التي أرساها ترامب في المنطقة العربية.

بواقعية شديدة، تعتبر المساومات ركنا أساسيا من أركان السياسة الأميركية الخارجية، سواء كان ساكن البيت الأبيض من الديمقراطيين أو الجمهوريين. ما تغير في عهد ترامب هو فقط حصر هذه المساومات بالمصلحة الداخلية للولايات المتحدة، وخاصة الاقتصادية منها. أما الإدارات السابقة فكانت تبتز دول العالم لمصالح خارجية أكثر منها داخلية. وهو ما مله الأميركيون وانتخبوا لأجله ترامب عام 2016.

نفس أعداد الناخبين انضم إليهم الملايين عام 2020 صوتوا لصالح ترامب، وهذا يدلل على أن من يتبنون شعار "أميركا أولا" باتوا قوة لا يمكن تجاهلها أبدا، سواء من أجل أفكار "يسارية"، أو تلبية لمطالب "حياة السود تهم"، أو حتى بغرض "استعادة الدور القيادي للعالم" كما يقول بايدن والديمقراطيون. واللافت أن "الترامبيين" إن جاز التعبير، باتوا كتلة موحدة وصلبة أكثر من المعسكر الآخر المتسلح بأفكاره اليسارية.

بين الحرب على إيران والانسحاب من العراق وسوريا ثمة العديد من الخيارات التي قد يلجأ لها دونالد ترامب لإحراج الإدارة الأميركية المقبلة وسيكون الأمر بغرض الاستعداد لانتخابات 2024 فقط

طالما بقي الخلاف بين "الترامبيين" و"اليساريين" في حدوده الحالية فهذا لن يشكل فارقا كبيرا بالنسبة لدول العالم خلال السنوات الأربع المقبلة، سواء بقي ترامب أم حل بايدن مكانه في البيت الأبيض. لكن إن تفجر الوضع وباتت المنافسة بين المرشحين للرئاسة اعتبارا من عام 2024، تتمحور حول رسم سياسات داخلية وخارجية مرضية لأي من المعسكرين، فهنا يبدأ التأثير الحقيقي للانقسام وتولد أميركا الجديدة.

ما يحدث هذه الأيام في الولايات المتحدة هو إرهاصات للانتخابات الأميركية القادمة في عام 2024. قد لا تتسبب الآن بمشكلة خارج الحدود إن بقي ترامب رئيسا، أو أبقى على مواجهته مع بايدن ضمن القنوات القانونية. ولكن إن قرر الانتقام من غريمه بإشعال حرب أو تفجير أزمة على بعد مئات الآلاف من الأميال من بلاده، فهنا يجب أن يبدأ القلق، وهنا ستبدأ دول العالم دفع كلفة الانتخابات الأميركية الحالية. ولا نذيع سرا بالقول إن منطقة الشرق الأوسط هي المرشحة بقوة لمثل هذا الخاطر الذي يفكر به ترامب، وفقا للعديد من توقعات المحللين والتغيرات التي يجريها حاليا في إدارته.

بين الحرب على إيران والانسحاب من العراق وسوريا، ثمة العديد من الخيارات التي قد يلجأ لها ترامب لإحراج الإدارة الأميركية المقبلة. سيكون الأمر بغرض الاستعداد لانتخابات 2024 فقط، وهو حتما سيؤدي إلى اضطراب كبير تدفع المنطقة ثمنه لما يزيد على أربع سنوات يعتقد ترامب أنه سيعود بعدها إلى البيت الأبيض، خاصة وأن بايدن لا يبدو صانع سياسات بقدر ما هو منفذ لها، و"الدولة العميقة" التي ساندته في الانتخابات الأخيرة، لا تبدو أنها تبحث عن حلول لأزمات المنطقة.

يحاول الديمقراطيون اليوم محاصرة ترامب عبر وسائل الإعلام وأجهزة الاستخبارات ومجلس النواب. ليس فقط خوفا من تداعيات خطواته "العقابية" على خطط الإدارة الأميركية المقبلة، وإنما من أجل منع استعداده للانتخابات المقبلة في عام 2024. فلا يفضل "اليساريون" مواجهة ترامب مرة أخرى مع الشعبية الكبيرة التي بات يتمتع بها، وكل الذي حققه لكتلته الصلبة والمتجانسة خلال ولايته الأولى.

لقد بدأت فعليا الحرب بين الجمهوريين والديمقراطيين، بين "الترامبيين" و"اليساريين". إن تفاقمت وخرجت عن السيطرة كما يتوقع كثيرون داخل وخارج أميركا، ستؤثر على الشرق الأوسط والمنطقة العربية، وخاصة إن تحولت أجندتها إلى تصفية حسابات بين الطرفين. فهذه البقعة الجغرافية من العالم، مليئة بالأخطاء التي يمكن استغلالها سياسيا، وتعج بالمشاكل التي قد تتحول إلى أزمات كبرى في لمح البصر.

العناوين التي تتناقلها وسائل الإعلام الأميركية حول خطط بايدن الداخلية والخارجية، تكشف استمراره في ذات النهج الذي بدأه الديمقراطيون خلال عهد الرئيس باراك أوباما. هذا النهج هو الذي جاء بترامب إلى السلطة في 2016، وهو باختصار يميع الأزمات ويماطل في حلها مقابل الاهتمام بشعارات لا تسمن ولا تغني من جوع، وهذا ما لم يعد مقبولا بالنسبة للأميركيين وشعوب المنطقة على حد السواء.

خارجيا قد تكون للديمقراطيين غايات كثيرة في هذا النهج، وربما يكون الأمر مجرد تراجع لأولوية الشرق الأوسط في سياستهم الخارجية. لكن النتائج بالنسبة لدول وشعوب المنطقة العربية تبدو ظالمة كثيرا، فما فعله أوباما، وسيواصله بايدن وفق ما تكشف حتى الآن، هو تمكين التغيير على مقاس فئة واحدة هي جماعات الإسلام السياسي، بالإضافة إلى إطلاق يد إيران كوصي مشارك لهذه الجماعات في السيطرة على العالم العربي. لا تعرف لماذا يبني الديمقراطيون أحلاما كبيرة على الخمينيين والمتأسلمين رغم أنهم لم يقدموا تجربة ناجحة في إدارة الدول، ولكن إن كانت أميركا الجديدة ترى أملا في هؤلاء فعلا، فهي حتما تريد خراب المنطقة وتفتيتها.

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
منى المحروقي

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk